عن ذنوب جنيتهن قباح ٭ وأدم دولة الخليفة موسى ٭ ذى المعالى المبينة الاوضاح
فخر الملك مستقر المزايا ٭ مظهر اللطف ذو التقى والصلاح ٭ ناصر الحق خاذل الجور عدلا
ملجأ الخائفين بحر السماح ٭ يتلقى الندى بوجه حيى ٭ ويلاقى العدى بباس صفاح
وله المكرمات ارثا وكسبا ٭ حاز حمدا بها معلى القداح ٭ من على باذخ وفخر صميم
وكمال بحت ومجد صراح ٭ واحاديث فى المعالى حسان ٭ رويت عنه العوالى الصحاح
عاقد صفقة العلى كل حين ٭ فائز فيه سعيه بالرباح ٭ للندى والهدى يروح ويغدو
اى مغداه الى العلى ومراح ٭ ملك نشرة الاسرة منه ٭ فى سما السرير نور صباح
واذا ما علا بعالى العوالى ٭ صهوة الجرد فهو ليث الكفاح ٭ لبس الدهر منه حلة حسن
وثنى للسرور عطف مراح ٭ وعلى عاتق الخلافة منه ٭ طرز فخر بهى النهى بالتماح
ورث الملك شامخا من سراة ٭ شيدوا ركنه بايدى الصفاح ٭ من بنى القاسم الذين تحلوا
بالمعالى واستاثروا بالفلاح ٭ فرعوا هضبة الخلافة مجدا ٭ رفعوا سقفه على الارماح
نشروا راية المفاخر حمدا ٭ خافق النور بالربى والبطاح ٭ يا اماما بذ الملوك جلالا
وجمالا ندبت بالادواح ٭ انت شمس الكمال دمت عليها ٭ فى اغتباق من المنى واصطباح
وبنوك الاعلون انجم سعد ٭ زهرات بنورك الوضاح ٭ وابو تاشفين بدر منير
زانه الله بالجلال الصباح ٭ اكمل العالمين خلقا وخلقا ٭ اشرف الناس فى الندى والكفاح
وبكم زينت سماء المعالى ٭ واهتدى الناس فى الدجى والصباح ٭ وكان السلطان ابو حمو الممدوح

بهذه القصيدة يحتفل لليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الاحتفال كما كان ملوك المغرب والاندلس فى ذلك العصر وما قبله ومن احتفاله له ما حكاه شيخ شيوخنا الحافظ سيدى ابو عبد الله التنسى ثم التلمسانى فى كتابه راح الارواح فيما قاله المولى ابو حمو من الشعر وقيل فيه من الامداح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح ونصه انه كان يقيم لليلة الميلاد النبوى على صاحبه الصلاة والسلام بمشور من تلمسان المحروسة مدعاة حفيلة يحشر فيها الناس خاصة وعامة فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة وبسط موشاة ووسايد بالذهب مغشاة وشمع كالاسطوانات وموايد كالهالات ومباخر منصوبة كالقباب يخالها المبصر من تبر ويفاض على الجميع انواع الاطعمة كانها ازهار الربيع المنمنمة فتشتهيها الانفس وتستلذها النواظر ويخالط حسن رياها الارواح ويخامر ويرتب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال وقد علت الجميع ابهة الوقار والاجلال وبعقب ذلك يحتفل المسمعون بامداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ومكفرات ترغب فى الاقلاع عن الاثام يخرجون فيها من فن الى فن ومن اسلوب الى اسلوب ويأتون من ذلك بما تطرب له النفوس وترتاح الى سماعه القلوب وبالقرب من السلطان رضوان الله عليه خزانة المنجانة قد زخرفت كانها حلة يمانية لها ابواب موجفة على عدد ساعات الليل الزمانية فمهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها وفتح عند ذلك باب من ابوابها وبرزت جارية صورت فى احسن صورة فى يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطورة فتضعها بين يدى السلطان بلطافة ويسراها على فمها كالمودية بالمبايعة بحق الخلافة هكذا حالهم الى انبلاج عمود الصباح ونادى المنادى حى على الفلاح انتهى وقال التنسى المذكور فى كتابه المسمى بنظم الدر والعقيان فى شرف بنى زيان وذكر ملوكهم الاعيان ما نصه وكان السلطان ابو حمو يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ويحتفل لها بما فوق ساير المواسم يقيم مدعاة يحشر لها الاشراف والسوقة فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة وشمع كالاسطوانات واعيان الحضرة على مراتبهم تطوف عليهم ولدان قد لبسوا اقبية الخز الملونة وبايديهم مباخر ومرشات ينال كل منها بحظه وخزانة المنجانة ذات تماثيل اللجين محكمة الصنعة باعلاها ايكة تحمل طاير فرخاه تحت جناحيه ويختله فيها ارقم خارج من كوة بجدر الايكة صعدا وبصدرها ابواب مرتجة بعدد ساعات الليل الزمانية يصاقب طرفيها بابان كبيران وفوق جميعها دوين راس الخزانة قمر اكمل يسير على خط الاستواء سير نظيره فى الفلك ويسامت اول كل ساعة بابها المرتج فينقض من البابين الكبيرين عقابان فى كل واحد منهما صنجة صفر يلقيها الى طست من الصفر مجوف بوسطه ثقب يفضى بها الى داخل الخزانة فيرن ويتنهش الارقم احد الفرخين فيصفر له ابوه فهناك يفتح باب الساعة الذاهبة وتبرز منه جارية محتزمة كاظرف ما انت راء بيمناها اضبارة فيها اسم ساعتها منظوما ويسراها موضوعة على فيها كالمبايعة بالخلافة والمسمع قايم ينشد امداح سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ثم يوتى اخر الليل بموايد كالهالات دورا والرياض نورا قد اشتملت من انواع محاسن المطاعم على الوان تشتهيها الانفس وتستحسنها الاعين وتلذ بسماع اسمايها الاذان ويشره مبصرها القريب منها والمتناول وان كان ليس بغرثان والسلطان لم يفارق مجلسه الذى ابتدا جلوسه فيه وكل ذلك بمراى منه ومسمع حتى يصلى هنالك صلاة الصبح على هذا الاسلوب تمضى ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم فى جميع ايام دولته اعلى الله مقامه فى عليين وشكر له فى ذلك صنعه الجميل امين وما من ليلة مولد مرت فى ايامه الا ونظم فيها قصيدا فى مديح المصطفى صلى الله عليه وسلم اول ما يبتدى المسمع فى ذلك الحفل العظيم بانشاده ثم يتلوه بانشاد من رفع الى مقامه العلى فى تلك الليلة نظما انتهى وهو اتم مساقا مما فى راح الارواح ولا باس ان نلم ببعض المقطوعات التى انشاها الكاتب ابو زكريا يحيى ابن خلدون المذكور على لسان جارية المنجانة فى مخاطبة السلطان ابى حمو معلمة بما مر من ليل فمنها فى مضى ساعتين قوله

لخليفة

لخليفة الرحمن والملك الذى ٭ تعنو لعز علاه املاك البشر ٭ لله مجلسك الذى عكى علا
بك ما لكى افق السماء لمن نظر ٭ او ما ترى فيه النجوم زواهرا ٭ وجه الخليفة بينهن هو القمر
والليل منه ساعتان قد انقضت ٭ تثنى عليك ثناء الرياض على المطر ٭ لا زال هذا الملك منصورا لكم

وبلغت ما ترجى اسنى الوطر ٭ وقوله فى مضى ثلاث ساعات ٭ امولاى يا ابن الملوك الاولى
لهم فى المعالى سنى الرتب ٭ تولت ثلاث من الليل ابقت ٭ لك الفخر فى عجمها والعرب
فدم حجة الله فى ارضه ٭ تنال الذى شئته من ارب ٭ وقوله فى مضى ست ساعات
بامجد او هو فرد ٭ تخاله فى عساكر ٭ ست من الليل ولت ٭ ما ان لها من نظاير
دامت لياليك حتى ٭ الى المعاد نواضر ٭ وقوله فى مضى ثمان ساعات
يا اكرم الخلق ذاتا ٭ واشرف الناس اسرة ٭ مرت ثمان وابقت ٭ فى القلب منى حسرة
فيهن كان شبابى ٭ اخا نعيم ونضرة ٭ ولى بها الدهر عنى ٭ ترى لها بعد كرة
فالله يبقيك مولى ٭ يطيل فى السعد عمره ٭ وقوله فى مضى عشر ساعات
يا مالك الحزم والخيل التى حكمت ٭ له بعز على الايام مقتبل ٭ هذا الصباح وقد لاحت بشايره
والليل ودعنا توديع مرتحل ٭ لله عشر من الساعات باهرة ٭ مضين لا عن قلى منا ولا ملل
كذا تمر ليالى العمر راحلة ٭ عنا ونحن من الامال فى شغل ٭ نمسى ونصبح فى لهو نسربه
جهلا وذلك يدنينا من الاجل ٭ والعمر يمضى ولا ندرى فواسفى ٭ عليه اذ مر فى الاثام والزلل
يا ليت شعرى غدا كيف الخلاص به ٭ ولم نقدم له شيئا من العمل ٭ يا رب عفوك عما قد جنته يدى
فليس لى بجزاء الذنب من قبل ٭ يا رب وانصر امير المسلمين ابا ٭ حمو الرضى وانله غاية الامل
وابق فى العز والتمكين مدته ٭ واعل دولته الغراء على الدول ٭ انتهى رجع الى المنظم لسان الدين

رحمه الله تعالى فنقول واما موشحاته وازجاله فكثيرة وقد انتهت اليه رياسة هذا الفن كما صرح بذلك قاضى القضاة ابن خلدون فى مقدمة تاريخه الكبير ولنذكر بعض كلامه اذ لا يخلو من نابغ زايد قال رحمه الله ما ملخصه واما اهل الاندلس فلما كثر الشعر فى قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتاخرون منهم فنا سموه بالموشح ينظمونه اسماطا اسماطا واغصانا اغصانا يكثرون منها ومن اعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ويلتزمون عدد قوافى تلك الاغصان واوزانها متتاليا فيما بعد الى اخر القطعة واكثر ما ينتهى عندهم الى سبعة ابيات ويشتمل كل بيت على اغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل فى القصايد وتجاروا فى ذلك الى الغاية واستظرفه الناس وجملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه وكان المخترع لها بجزيرة الاندلس مقدم بن معافى القبرى من شعراء الامير عبد الله بن محمد المروانى واخذ عنه ذلك ابن عبد ربه صاحب العقد ولم يذكر لهما مع المتاخرين ذكر وكسدت موشحاتهما فكان اول من برع فى هذا الشان بعدهما عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية وقد ذكر الاعلم البطليوسى انه سمع ابا بكر بن زهر يقول كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله بدر تم ٭ شمس ضحى ٭ غصن نقا ٭ مسك شم
ما اتم ٭ ما اوضحا ٭ ما اورقا ٭ ما انم ٭ لا جرم ٭ من لمحا ٭ قد عشقا ٭ قد حرم
وزعموا انه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا فى زمان ملوك الطوائف وجاء مصليا خلفه منهم رافع راسه شاعر المامون بن ذى النون صاحب طليطلة قالوا وقد احسن فى ابتدايه فى الموشحة التى طارت له حيث يقول
قد ترنم ٭ بابدع تلحين ٭ وشقت المذانب ٭ رياض البساتين ٭ وفى انتهايه حيث يقول
تخطر ولم تسلم ٭ عساك المامون ٭ مروع الكتايب ٭ يحيى بن ذى النون ٭ ثم جاءت الحلبة التى كانت
التى كانت فى مدة الملثمين فظهرت لهم البدايع وفرسان حلبتهم الاعمى التطيلى ثم يحيى بن بقى وللتطيلى من الموشحات المذهبة قوله ٭ كيف السبيل الى ٭ صبرى وفى المعالم اشجان ٭ والركب وسط الفلا ٭ بالخرد النواعم قد بانوا
وذكر غير واحد من المشايخ ان اهل هذا الشان بالاندلس يذكرون ان جماعة من الوشاحين اجتمعوا فى مجلس باشبيلية وكان كل واحد منهم قد صنع موشحة وتانق فيها فتقدم الاعمى التطيلى للانشاد فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله ٭ ضاحك عن جمان ٭ سافر عن بدر ٭ ضاق عنه الزمان ٭ وحواه صدرى
خرق ابن بقى موشحته وتبعه الباقون وذكر الاعلم البطليوسى انه سمع ابن زهر يقول ما حسدت قط وشاحا على قول الا ابن بقى حين وقع له ٭ اما ترى احمد فى مجده ٭ العالى لا يلحق ٭ اطلعه الغرب فارنا مثله يا مشرق
وكان فى عصرهما من الوشاحين المطبوعين ابو بكر الابيض وكان فى عصرهم ايضا الحكيم ابو بكر بن باجة صاحب التلاحين المعروفة ومن الحكايات المشهورة انه حضر مجلس مخدومه ابن تيفلويت صاحب سرقسطة فالقى على بعض قيناته موشحته ٭ جرر الذيل ايما جر ٭ وصل الشكر منك بالشكر ٭ فطرب الممدوح لذلك وختمها بقوله ٭ عقد الله راية النصر
لامير العلى ابى بكر ٭ فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تيفلويت صاح واطرباه وشق ثيابه وقال ما احسن ما بدات وما ختمت وحلف بالايمان المغلظة ان لا يمشى ابن باجة لداره الا على الذهب فخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتال بان جعل ذهبا فى نعله ومشى عليه ثم قال ابن خلدون بعد كلام واشتهر بعد هولاء فى صدر دولة الموحدين محمد بن ابى الفضل بن شرف الى ان قال ٭ وابن هردوس الذى له ٭ يا ليلة الوصل والسعود ٭ بالله عودى ٭ وابن موهل الذى له ٭ ما العيد فى حلة وطاق ٭ وشم طيب
وانما العيد فى التلاقى ٭ مع الحبيب ٭ وابو اسحق الدوينى قال ابن سعيد سمعت ابا الحسن سهل بن مالك